

الماء في القرآن

قديمًا توصل علماء الإغريق وفلاسفتهم إلى أن العناصر الأولية للكون بما فيه من الجمامد والنبات والحيوان يتمثل في الأربعة التالية :
الماء ، والنار والهواء والتراب . وقد تابعهم في ذلك كل الفلاسفة الطبيعيين الذين جاءوا بعدهم .

ومن الحقائق التي توصل إليها العلماء المحدثون عن حقيقة الماء وأهميته للإنسان ذكروا أن الوحدة البسيطة للماء تتكون من ذرة
أكسجين وذرتين من الهيدروجين . وأن الماء ينقسم بحسب مصدره إلى أنواع : ماء الأمطار وماء الأنهار وماء الآبار ، وأنقائها بالطبع
هو الأول إذا لم يلوّثه دخان المصانع . أما أهمية الماء للإنسان فتتمثل في مده بالأكسجين اللازم لعملية التنفس ، كما أنه يمدّه
بالمكمية الضرورية لسلامة أعضائه (70% تتكون من الماء ، وهو في الدم بنسبة 80% ، وفي المخ بنسبة 75% ، وفي الكبد بنسبة 96%) ، فضلاً
عن أن الماء هو الذي يحافظ على تنظيم درجة حرارة الجسم من خلال إفراز العرق ، كما يساعد على التمثيل الغذائي للدهون
وتحويلها إلى طاقة للحركة والنشاط . وعموماً فإن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون ماء أكثر من خمسة أيام .

فإذا قرأنا القرآن الكريم وتدبرنا آياته جيداً وجدنا أن الماء هو الأصل الذي نشأت وما زالت تنشأ منه سائر المخلوقات ، بل إنه سبق في
وجوده خلق السماوات والأرض :

(وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه) [سورة هود]

ويذكر القرآن أن الله تعالى جعل من الماء كل شئ ^{حى}

(وجعلنا من الماء كل شئ ^{حى}) [30] الأنبياء

ويخص بالذكر كلا من الأنعام :

(والله خلق كل دابة من ماء) [45] النور ،

والإنسان (وهو الذى خلق من الماء بشرا) [54] الفرقان

والمقصود هنا هو آدم أبو البشر ، أما أبناؤه فيتم خلقهم من (ماء مهين) وهو المنى ^ى :

(فلينظر الإنسان ممخلق . خلق من ماء دافق) [6] الطارق

ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين [8] المسجدة

وبالنسبة إلى النبات ، فالماء أيضا هو الأصل :

(وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) [99 الأأنعام]

(وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) [22 البقرة]

(هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر) [10 النحل]

وإذا كان من الطبيعي أن يخرج الماء من الأرض ، ولكن قدرة الله تعالى جعلته ينزل عليها من السماء ، فصار إحياء لها من حالة الجفاف والموت :

(وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) [164 البقرة]

(والله نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) [65 النحل]

(وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) [5 الحج]

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتربى الأرض مخضرة) [63 الحج]

وَيَصِفُ ۖ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هَذَا الْمَاءُ ۖ بِأَنَّهُ : سَائِغٌ لِلشَّرْبِ ، وَمِبَارِكٌ ، وَطَاهِرٌ فِي نَفْسِهِ ، مَطَهَّرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ :

(وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا) [27 المرسلات]

(وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مِبَارِكًا) [9 ق]

(وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) [48 الفرقان]

(وَنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) [11 الأنفال]

وَمِنَ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ الْمَاءَ الْمُنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَوَّلُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْهَارٍ وَيَنْابِيعٍ فِي الْأَرْضِ لِكَيْ تَكُونَ مَتَاعًا لِلْأَحْيَاءِ عَلَى نَحْوِ مُسْتَمَرٍّ فِي الشَّرْبِ وَالزَّرَاعَةِ وَالتَّطْهِيرِ ..إِلَخ

(أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فُسُوفًا مَاءً أَوْدِيَةً بِقُدْرَتِهَا) [17 الرعد]

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْابِيعٌ فِي الْأَرْضِ) [21 الزمر]

ولو فكر الإنسان قليلا في الأثر المتعدد والمتنوع للماء لأدرك دليلا واضحا على قدرة الله ، فالماء كما نعرف [(واحد) لكنه متعدد الآثار والنتائج :

(ألم تر أن الله أنزل [من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها)(27 فاطر]

(وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم)(10 لقمان]

وينبها القرآن [الكريم إلى أن الماء الذي ينزله الله تعالى من السماء إلى الأرض ليحييها من الموات ، [ويسقى بها الأحياء ، وينبت بها المزروع والنباتات التي تخرج لنا الثمار المت تغذى بها — إنما ينزل بالمقدار الذي تتطلبه الأرض ، ويحتاج إليه الإنسان :

(وأنزلنا من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم)(32 ابراهيم]

(وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض)(48 المؤمنون]

(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها)(17 المرعد]

(وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر)[12 القمر]

والقرآن الكريم يدعو الناس ليقترسوا الماء فيما بينهم ، بحيث لا يستأثر به البعض ، ويحرم منه آخرون :

(ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر)[28 القمر]

وكما يكون الماء من نعم الله الكبرى للأحياء عموما وللإنسان بصفة خاصة ، فقد جعله الله عقوبة للكافرين منهم ، كما وقع لقوم نوح ، عليه السلام ، حين كذبوه ورفضوا دعوة التوحيد ، فجعل الماء يفيض من التنور (موقد النار) ! ثم ينتشر بعد ذلك ليغطي السهول والجبال ، ويصبح فيضانا يقضى على كل من رفضوا دعوة رسولهم الكريم .

وفي المقابل من هذا الطوفان المائي الذي أغرق الأرض فـ [زمن نوح ، عليه السلام ، فإن القرآن يحذرنا من إمساك الماء عنا ، وانعدام قدرتنا على استخراج له للاستفادة منه :

(قل أضر أيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمنياتكم بماء معين) (30 المملك).

والقرآن الكريم ﷻ يذكرّ الناس جميعا بأن الماء المنزل من السماء بقدرة الله تعالى وتقديره ينبغي أن يكون موضع نظر واعتبار ،
ويكفى أن يفكر الإنسان في ﷻ أحد أمرين :

— أن يمسه الله تعالى فيحرم منه الأرض والأحياء التي يعيشون عليها ،

— أن يجعله أجاجا (مالحا) لا يصلح للشرب ولما للزرع ﷻ:

(أضر أيتم الماء الذي تشربون . أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو ﷻ نشاء لجعلناه أجاجا فلو لا تشكرون) (68،69،70 الواقعة).

الماء إذن آية من آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بالعباد وألوهيته . وعلى الإنسان الغافل عن هذه الآية ﷻ باعتبارها ظاهرة عادية
تتكرر أمام عينيه أن يعيد النظر إليها ، والتفكير فيها ليدرك أن الله تعالى قد سخّر لها لجميع الأحياء وصى مقدمتهم البشر .

وقد وصف القرآن الكريم الماء بعدة أوصاف طيبة ، ومنها :

ماء منهمر — ماء معين — ماء غدقا — ماء ثجاجا — ماء فراتا — ماء طهورا —

ماء واحد .

كما ورد وصفه أيضا بأوصاف مضادة مثل : أجاجا — غورا — وبالنسبة للمنى : ماء دافق — ماء مهين .

أما الماء في جهنم فقد جاء وصفه كالتالى : ماء صديد — ماء حميما — ماء كالمهل .

ومما يذكره الله عن أهل النار فى بداية أمرهم أنهم يطلبون الماء من أهل الجنة ليرووا به عطاشهم ، فيجيبهم هؤلاء بأن الله قد حرّمه عليهم :

(ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم ﷻ الله قالوا إن الله حرّمهما على الكافرين)(50 الأعراف).

أما نعيم أهل الجنة فقد قرئنا الله تعالى في الكثير من آيات القرآن الكريم بجنات تجري من تحتها الأنهار). ومن المعروف ﷻ أن الماء في النهر الجارى ﷻ يكون دائما صافيا ورائقا ، كما أن الصوت الصادر منه يكون ذا وقع طيب وجميل في سمع الجالسين ﷻ حوله [تراجع الآيات المتى تذكر (جنات تجري من تحتها الأنهار) في المصحف ، والمتى تبلغ حوالى أربعين آية).